ملخص سياسة SESRI
العـــدد ٤
أغسطس ٢٠٢٢

التحضر والمدن المستدامة في قطر: الحاجة إلى أجندة سياسات حضرية قائمة على الأدلة

أروكياسامي بيرياناياجام[1]، كلثم علي الغانم[1]، كتالينا بيتكو[1]

جامعة قطر[1]

شهدت قطر في العقدين الماضيين نمواً مدنياً سريعاً غير مسبوق، حيث يعيش تسعة وتسعون بالمئة من سكان قطر حاليًا في المدن. تمثل سرعة التمدن ووتيرته غيرالمسبوقة في قطر، بالإضافة إلى عملية التنمية الحضرية الهائلة تحديات لصنّاع السياسات والمخططين في المناطق الحضرية. تتمثل التحديات المهمة في كل من إدارة التطور والتوسع المستقبليين، والالتزام بأعلى المعايير، والأهم من ذلك هو تعزيز الرفاه ونوعية الحياة المدنية. يعد تنفيذ قرارات السياسات الحضرية القائمة على الأدلة والشاملة أمرًا بالغ الأهمية لمستقبل قطرالمدني. يحتاج صنّاع السياسات والمخططين إلى النظر في ثلاثة أبعاد مترابطة للتنمية الحضرية: الاستدامة، والسلوك المدني، والرفاه وجودة الحياة الحضرية. كما أنَّ التنسيقَ الفعالَ بين أصحاب المصلحة الرئيسيين في مجال التنمية الحضرية، بالإضافة إلى وضع استراتيجية مترابطة شاملة لعدة قطاعات لتحديد تصورات الناس عن البيئة المبنية ونوعية الحياة أمرٌ ضروريٌ لنجاح السياسات الحضرية في قطر.

يعيش أكثر من نصف سكان العالم الآن في المناطق الحضرية، متأثرين بالتوسع الحضري السريع والتحول الديموغرافي. يشير التحول الديموغرافي – كظاهرة ونظرية– إلى التحول التاريخي من النظام الاقتصادي الزراعي التقليدي ذي معدلات المواليد المرتفعة ومعدلات الوفيات المرتفعة، إلى نظام اقتصادي صناعي حديث تنخفض فيه معدلات المواليد ومعدلات الوفيات. تعد نظرية التحول الديموغرافي بشكل كبير "واحدة من أفضل التعميمات الموثقة في العلوم الاجتماعية.

كما جادل بعض العلماء بأن عملية التحضر (التحولات من مجموعات سكانية يغلب عليها الطابع الريفي إلى مجموعات سكانية يغلب فيها الطابع الحضري)هي مكون أساسي ونتيجة للتحول الديموغرافي في ذات الوقت. بشكل عام من المعروف أن عملية التحضر تصاحب الحداثة والنمو الاقتصادي المستدام، والعكس صحيح، بالإضافة لآثارها واسعة النطاق على سياسات التخطيط الحضري واستدامة الحياة الحضرية.

على الرغم من أن عملية التحضر في قطر تعد حديثة نسبياً، حيث ظهرت أول مدينة حضرية كبيرة في الأربعينات من القرن الماضي إلا أن قطر شهدت معدلات سريعة وغير مسبوقة من التحضر والنمو الحضري على غرار العديد من البلدان الأخرى.

وضع التوسع الاقتصادي الكبير في قطر الأساس لسرعة التحضر ووتيرته، وبما أن البيئات الحضرية زمنية بطبيعتها، فقد نمت الدوحة والمدن المجاورة لها بشكل كبير أفقياً ورأسياً. على عكس عملية التحول الحضري في أوروبا وأماكن أخرى التي حدثت من المطلق إلى التجريد تدريجياً عبر القرون، فقد شهدت قطر ولا سيما الدوحة والمدن المجاورة، تحولاً سريعاً من بيئة تقليدية إلى هياكل حضرية حديثة بسبب الطفرة الاقتصادية النفطية وعلاقات ما بعد الاستعمار التي بدأت في الخمسينيات من القرن الماضي.

تعد سرعة التحضر ووتيرته في قطر فريدة من نوعها، وتمثل عملية التنمية الحضرية في قطر تحدياً هائلاً بشكل خاص لصنّاع السياسات والمخططين. نقدم في موجز السياسات هذا: أ) لمحة عامة عن عملية تخطيط التنمية الحضرية في قطر. ب) الحاجة إلى بناء أجندة سياسات حضرية جديدة قائمة على الأدلة.

التنمية والتخطيط الحضري

شهدت قطر تطوراً عمرانياً هائلاً في العقدين الماضيين، حيث يعيش تسعة وتسعون بالمئة من سكان قطر حالياً في المدن (الشكل 1).

وضع التوسع الاقتصادي الكبير في قطر الأساس لسرعة التحضر ووتيرته، فقد نمت الدوحة والمدن المجاورة لها بشكل كبير أفقياً ورأسياً

الشكل 1

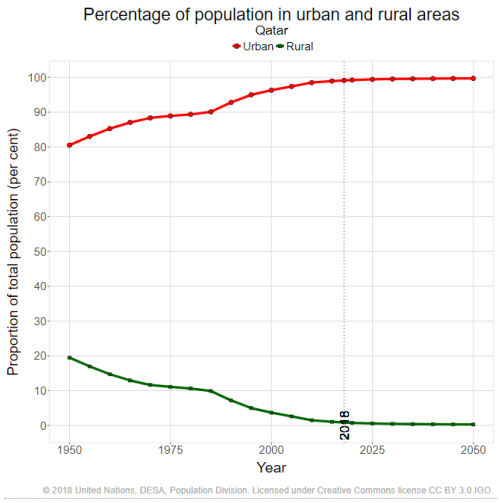

Note: Urban and rural population in the current country or area as a percentage of the total population, 1950 to 2050.

المصدر: الأمم المتحدة، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، شعبة السكان (2018). توقعات التحضر في العالم: مراجعة 2018.

وضعت الحكومة القطرية خطة تنموية طموحة وطويلة الأمد في إطار رؤية قطر الوطنية 2030 لتنويع اقتصادها، وبناء البنية التحتية للمواصلات، والتعليم، والرياضة، والرعاية الصحية، والاتصالات والضيافة. حيث تمثل هذه الإجراءات جزءاً رئيسياً من هذه الخطة.

استرشاداً بهذه الرؤية، ووفقاً لإطار التنمية الوطنية، نفذت قطر العديد من مشاريع تطوير البنية التحتية الرائدة التي تهدف إلى إعادة تشكيل المعالم الحضرية. وتشمل هذه المشاريع إنشاءات متعددة الاستخدامات في الدوحة والمدن المجاورة مثل السد، الدحيل، مشيرب، المدينة التعليمية وكتارا، بالإضافة إلى نظام نقل متعدد الوسائط يشمل مترو الدوحة، والتطوير الحضري المرتبط بنمو وسائل المواصلات وغيرها الكثير. ساهمت هذه المشاريع الكبرى في إعادة تشكيل المشهد الحضري الحالي في قطر، ودعمت بشكل كبير النمو السكاني المتسارع ومستويات المعيشة. بالإضافة إلى ذلك أظهرت الدولة نموذجاً اقتصادياً مرناً حتى في أوقات تراجع أسعار النفط مما زاد من تعزيز استراتيجيتها في التنويع الاقتصادي. ومع ذلك فإن التحديات الأكثر أهمية تتمثل في إدارة النمو والتوسع المستقبلي، والحفاظ على أعلى المعايير، وتعزيز الرفاه وجودة الحياة الحضرية قبل كل شيء. حيث تزداد أولوية هذه التحديات بشكل خاص عندما تشهد قطر – مقارنة ببلدان أخرى في آسيا وغرب آسيا– معدلات سريعة من التوسع والنمو الحضري (الشكل 2).

الشكل 2

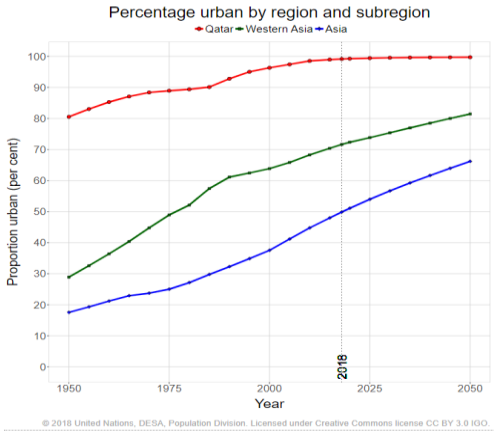

Note: Proportion of urban population in the current country as compared to its subregion and region. The proportion is expressed as a percentage of the total population, 1950 to 2050.

المصدر: الأمم المتحدة، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، شعبة السكان (2018). توقعات التحضر في العالم: مراجعة 2018.

انطلاقاً من هذه التحديات، وضعت رؤية قطر الوطنية 2030 خارطة طريق توضح كيفية تحول المجتمع القطري لمجتمع متقدم قادر على التنمية المستدامة بهدف توفير مستوى معيشة مرتفع لجميع المواطنين. وتتضمن رؤية قطر الوطنية 2030 أيضاً خطة تنمية حضرية شاملة لدولة قطر تتبنى سياسة مستدامة فيما يتعلق بالتوسع الحضري وتوزيع السكان بالإضافة إلى ذلك فإن رؤية قطر الوطنية 2030 مبنية على خمسة مبادئ توجيهية هي: التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية.

وعلى الرغم من تلك المبادرات الجديرة بالثناء والتي تتماشى مع رؤية قطر الوطنية 2030 فيما يتعلق بالسياسة والتخطيط العمراني لدولة قطر، إلا أنه من الناحية التاريخية كان يُنظر إلى عملية التحضر على أنها أداة أساسية للتنمية الاجتماعية وتحسين جودة الحياة. ويُعزى ذلك بشكل عام إلى ارتفاع معدلات التعليم لدى سكان المناطق الحضرية، وانخفاض معدلات الخصوبة والوفيات، وزيادة الفرص

الاقتصادية والتنقل والوصول إلى الرعاية الصحية والتكنولوجيا الحديثة. بالإضافة إلى ذلك ناقش العلماء والمخططون الحضريون وعلماء الاجتماع بأن التخطيط الحضري للقرن الحادي والعشرين يجب أن يتمحور حول استراتيجية لزيادة الاعتماد على وسائل النقل العام، وإنشاء مدن ملائمة للعيش، وتقليل نصيب الفرد من الإنفاق الاستهلاكي، والتقليل من الأراضي غير الصالحة للاستخدام والزحف العمراني. وعلى الرغم من أن إنشاء بنية تحتية حضرية أكثر استدامة وتحسيناً أمر بالغ الأهمية لجودة الحياة الحضرية، إلا أن تعزيز اعلى معايير الرفاه متعدد الأبعاد بما يتفق مع رضا الناس المتوقع هو المعيار الجديد في السياسة الحضرية والتنظيم.

تواجه قطر تحديات في مجال السياسات الحضرية فيما يتعلق بدمج جودة الحياة الحضرية لتحقيق رؤيتها الاقتصادية المتمثلة في تطوير مراكز الخدمات الدولية. وفيما يتعلق بتخطيط السياسات الحضرية، يجب دمج جدول اعمال التنمية الاجتماعية في صياغة أجندة السياسات الحضرية القائمة على الأدلة وتنفيذها، حيث تسعى رؤية قطر الوطنية 2030 إلى: 1) تعزيز اجندة التنمية الاجتماعية التي تركز على التعليم والتوظيف وتوفير فرص العمل لجميع المواطنين بغض النظر عن خلفيتهم أو جنسهم. 2) تعزيز مبادئ المساواة. 3) تقديم خدمات عالية الجودة لتلبية احتياجات الأشخاص ورغباتهم. 3) تعزيز قدرات المرأة وتمكينها من المشاركة الكاملة في المجالات السياسية والاقتصادية وخاصة في أدوار صنع القرار.

الحاجة إلى أجندة للسياسات الحضرية القائمة على الأدلة

يمثل التطور والتوسع الحضري السريع في قطر في العقدين الأخيرين تحديات ملحة للسياسات. يُطلب من صناع السياسات والمخططين النظر في ثلاثة أبعاد مترابطة للتنمية الحضرية هي: الاستدامة، السلوك الحضري، الرفاه وجودة الحياة الحضرية.

كان يُنظر إلى عملية التحضر على أنها أداة أساسية للتنمية الاجتماعية وتحسين جودة الحياة

تُعد قرارات السياسات الحضرية القائمة على الأدلة والمستنيرة والشاملة أساسية لمستقبل قطر الحضري، حيث هناك حاجة إلى رؤية سياسات لتحقيق التحول الإيجابي للمدن للأجيال القادمة.

تحتاج عملية التخطيط الحضري لوضع آلية للتكامل المستمر لنتائج أبحاث السلوك الحضري القائم على الأدلة، كما يُعد إشراك الباحثين في البحث عن إجابات للأسئلة المتعلقة بحياة الأشخاص وعملهم وأنشطتهم واختلاطهم الاجتماعي خطوة مهمة في توجيه التنمية بأعلى معايير التنظيم والانسجام في الأحياء الحضرية في قطر. توفر أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة و"جدول الأعمال الحضري الجديد" لموئل الأمم المتحدة معياراً لجدول أعمال السياسات الحضرية. تتطلب إمكانات التنمية الحضرية الحالية في قطر والمستقبلية نحو دوحة مستدامة ذكية توجهاً سياساتي جديد واتخاذ الإجراءات الضرورية.

يحتاج صناع السياسات الحضرية إلى الاعتماد على البحوث القائمة على الأدلة في دمج الخصائص المتعددة الأبعاد للاستدامة الحضرية، ونوعية الحياة الحضرية والرفاه حيث يوفر فهم العلاقة الوثيقة بين الاستدامة والسلوك الحضري ونوعية الحياة آلية لمراقبة كيفية أخذ صناع السياسات لأبعاد جودة الحياة بالحسبان عند تصميم وتنفيذ سياسات المدن السكنية وتطوير البنية التحتية وشبكات النقل والموارد المشتركة والمرافق الاجتماعية.

تعد الأدلة البحثية القوية من الأهمية بمكان لإثبات كيفية مساعدة نتائج البحث لصناع القرار على مراقبة جودة الحياة وقضايا الرفاه ومعالجتها بشكل أفضل لتحقيق القبول العام وتعزيز تغيير سلوك المستخدم. لا تزال قضايا المناخ والصحة تشكل مصدر قلق بالغ، ومن ثم يجب دمج النماذج التوضيحية للبحوث السلوكية للبيئة الحضرية في السياسات والتخطيط الحضريين.

المصادر

1. United Nations. (2018). World Urban Population Prospects 2018. Department of Economic and Social Affairs, Population Dynamics, United Nations, New York.
2. Landry, A. (1987). Demographic Revolution. Population and Development Review, 13(4), 731–740. doi:10.2307/1973031.
3. Notestein, F. W. (1945). Population - the long view. In Schultz Theodore (ed.), Food for the world. Chicago: University of Chicago Press.
4. Kirk, D. (1996). Demographic transition theory. Population Studies, 50(3), 361-387. doi:10.1080/0032472031000149536
5. Dyson, T. (2011). The role of the demographic transition in the process of urbanization. Population and Development Review, 37, 34-54
6. Wiedmann, F., Salama A. M., Thierstein, A. (2012). Urban evolution of the city of Doha: An investigation into the impact of economic transformations on urban structures. METU JFA 2012/2 (29:2) 35-6. DOI: 10.4305/METU.JFA.2012.2.2
7. Mishrif, A. (2018). Introduction to economic diversification in the GCC region. In Ashraf Mishrif and Yousuf Al Balushi (eds.), Economic Diversification in the Gulf Region, Volume I. Singapore: Palgrave Macmillan, 2018.
8. Qatar National Vision 2030. General Secretariat for Development Planning. Retrieved from https://www.gco.gov.qa/wp-content/uploads/2016/09/GCO-QNV-English.pdf
9. Furlan, R., Zaina, S. & Patel, S. (2021). The urban regeneration's framework for transit villages in Qatar: the case of Al Sadd in Doha. Environment, Development and Sustainability, 23, 5920–5936. https://doi.org/10.1007/s10668-020-00853-4
10. Wadi, R., Furlan, R. (2017). The Quality of Urban Life (QOUL) of New-Salata's Neighbourhood in Qatar American Journal of Sociological Research, 7(1), 14-22. doi: 10.5923/j.sociology.20170701.0

توصيات السياسات

1. تحتاج السياسات الحضرية وعملية التخطيط في قطر إلى النظر في اهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة و "جدول الأعمال الحضري الجديد" لموئل الأمم المتحدة كمعيار جديد لجدول أعمال السياسات الحضرية.
2. يجب أن يأخذ جدول اعمال السياسات الحضرية الجديد في الحسبان البحوث القائمة على الأدلة في دمج الخصائص المتعددة الأبعاد للاستدامة الحضرية ونوعية الحياة الحضرية والرفاه.
3. يعد إشراك الباحثين في التماس إجابات لأسئلة حول حياة الأشخاص وعملهم وأنشطتهم وتواصلهم الاجتماعي خطوة مهمة في توجيه التنمية الأكثر تنظيماً وتناغماً في الأحياء الحضرية في قطر.
4. إن وجود استراتيجية مشاركة متماسكة عبر القطاعات لتحديد تصورات الناس عن البيئة المبنية ونوعية الحياة أمر ضروري لنجاح السياسات الحضرية في قطر.